الظلم و الظالمون

سيد سعيد الاعرجي
جمهورية العراق

المقدمة:

الظلم من المباحث المهمة و الحساسة فـي حياة البشر قديماً و حديثاً الّا انه لم ينل اهتماماً كبيراً لدى الباحثين لابرازه على مستواه المـهم و المـرتبط بـالسعادة الدنـيوية والاخرويه ، و لا يكاد يخلو منه مكان دون آخر و لا زمان دون زمان، و الغريب انك تجد من يذمه و يشجبه وتراه يتعاطاه ويعمل به بشكل مباشر او غير مباشر .

وترى الكثير منهم مظلومين ولكنهم ظالمون لانفسهم او لغيرهم حيث تنفق البشرية معظم خيراتها كل عام دفعاً للظلم او ايجاداً لادواته ووسائله من اجل التسـلط والقـهر والغلبة حيث ترى ميزانية وزارة الدفاع في دول العالم تحضى بالحض الأوفـر وتـعدل ميزانية وزارات عديدة كالصحة والتعليم والثقافة والزراعة والصناعة وغيرها مجتمعة.

نحن نجد ان كل الديانات السماوية حذّرت وأنذرت بان الظلم اذا حل في مكان حلّ الدمار معه، كما ان المثل والقيم والعادات والاعراف البشرية ترفض الظلم وكل ما تبناه العقلاء يمجّه، ولكن كيف استحكم في الارض وملأها من المشارق الى المـغارب؟ لذا علينا ان نجد الحل قبل فوات الاوان، حيث البلاء منتشر والعطاء منحسر، والامـر يـهم الجميع دون استثناء، ولا يقوى أحد او مجموعة او فئة دون الآخرين على القيام بـهذا العبء الثقيل.

فنحن في هذا البحث المختصر سنتناول الحديث عن:

الظلم : لغة واصطلاحاً

ما هي اسبابه ووسائله واهدافه ونتائجه

أي الاعمال تكون ظلماً؟

من هم اظلم الناس؟ وما هي صفاتهم؟

ما هو سبب اجتراء الظالم على المظلوم ؟

ما معنى الركون الى الظالم؟ وهل هناك فرق بين الظالم والذى يظلم؟

ما هي عاقبة الظالمين؟

هل ان العذاب الذي يكابده الانسان نتيجة طبيعية لظلمه؟

وختاماً هل يمكن ان نعالج الظلم وكيف؟

الظُلم : لغه واصطلاحاً

الظلم لغةً: وضع الشيء في غير موضعه، ومن أمثال العرب في الشبه من أشبه أباه فما ظَلَم. قال الاصمعي: ما ظلم اي ما وضع الشبه في غير موضعه، وفي المثل:

مَن استرعى الذئبَ فقد ظلم، وفي حديث ابن زِمْلٍ:

لزموا الطريق فلم يظلموهُ اي لم يعدلوا عنه، واصل الظُلم:

الجور ومجاوزة الحد، ومنه حديث الوضوء: فمن زاد او نقص فقد أساء وظلم اي أساء الأدب بتركه السُنّة والتأدب بادب الشرع، وظلم نفسه بما نقصها من الثواب بتَرداد المرّات في الوضوء.

و في التنزيل العزيز: الذين آمنوا ولم يَلبسوا ايمانهم بظُلم، قال ابن عباس وجماعة اهل التفسير: لم يخلطوا ايمانهم بشرك وروى ذلك عن حذيفه وابن مسعود وسلمان تأولوا فيه قول الله عزوجل : انّ الشرك لظلم عظيم .

والظلم: الميل عن القصد، والعرب تقول : الزَمْ هذا الصَّوب ولا تظلم عنه اي لا تَجُرْ عنه، وقوله عزّوجل : انّ الشرك لظلم عظيم، يعني أنّ الله تعالى هو المحيي المميت الرزّاق

المنعم وحده لا شريك له، فاذا أُشرك به غيره فذلك اعظم الظُلم، لانه جعل النعمة لغير ربّها.

ويقال: ظَلَمهُ يظلمُهُ ظَلْما وظُلما ومَظلِمةً وهو ظالم وظَلوم، قال ضيغم الاسدي: إذا هو لم يَخْفِني في ابن عمّي وان لم أَلْقهُ الرجُلُ الظَّلُوم وقوله عزوجل: ان الله لا يظلمُ مثقالَ ذرّة؛ أراد لا يظلمُهُم مثقالَ ذرة، وعدّاه الى مفعولين لانه في معنى يسلُبُهم؛ وقد يكون مثقال ذرة في موضع المصدر اي ظُلماً حَقيراً كمثقالِ الذرة، وقوله عزوجل: فظلموا بها؛ أي بالآيات التي جاءتهم، وعدّاه بالباء لأنه في معنى كفروا بها. والظلمُ الاسم، ظلمهُ حقه وتَظلَّمه اياه؛ قال ابو زُبيد الطائي:

وأُعطي فوقَ النِّصفِ ذو الحقِّ منهمُ ... وأظلِمُ بعضاً أو جميعاً مُوَزِّرا

وقال : تظلَّمَ مالي هكذا ولَوَى يَدي ... لَوَى يَدَهُ اللهُ الذي هو غالبُهْ

وتظلَّم منه: شكا من ظُلمِه. وتَظلَّمَ الرجل: أحالَ الظُّلمَ على نفسه؛ حكاه ابن الاعرابي؛ وانشد:

كانَتْ اذا غَضِبتْ عليَّ تظلَّمتْ ... وإذا طَلَبْتُ كلامها لم تَقْبَلِ

و المتظلِّمُ ايضاً: الظالِم؛ ومنه قول الشاعر:

نَقِرُّ ونأبى نخوَةَ المُتظلِّم

أى نأبى كِبْرَ الظالم . وتظلَّمني فلان أي ظلمَني مالي؛ قال ابن بري: شاهده قول الجعدي:

وما يَشْعُرُ الرمحُ الاصمُّ كُعوبُه ... بثروة رَهْطِ الاعيطِ المُتظلِّمِ.

والظُلامةُ: ما تُظْلَمُهُ؛ وهي المَظْلِمَةُ؛ قال سيبويه: أما المَظْلِمَةُ فهي اسم ما أُخِذَ منك.

واردتُ ظِلامَهُ ومظالمته اي ظُلمه قال:

و لو أني ظِلامَهُ ومظالمته أي ظُلمه قال:

ولو أنى اموتُ أَصابُ ذُلّاً ... وسامَتْه عشيرتُه الظِّلاما

والظُّلامةُ والظَّليمةُ والمَظْلِمَةُ: ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أُخِذ منك. التهذيب: الظُّلامةُ اسم مظلِمتِك التي تطلبها عند الظالم؛ ويقال: ظُلِمَ فلانٌ فاظْلم، معنى انه احتمل الظلم بطيب نفسه وهو قادر على الامتناع منه.

وتظالَمَ القومُ ظَلَمَ بعضُهم بعضاً[١].

و يقال: ظَلَمَ: ظُلْماً وظَلْما ومَظْلِمةً: جار عليه وفعل له الظُلم ومنه ظُلم الراعي لرعيته: وأظْلَم الرجل اصاب ظُلماً وتظلَّم منه شكا من ظلمه[٢].

و الظلمُ والجورُ والعدوانُ متقاربٌ، وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل وأصل الظلم انتقاص الحق، قال الله تعالى: ﴿كلتا الجنتين آتت أُكلها ولم تظلم منه شئيا﴾ اي لم تنقص منه شئياً وقيل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.[٣]

الظلم: اصطلاحاً:

والظلم في الاصطلاح الشرعي مفرداته ومصاديقه كثيرة منها: ان الظلم هو الضلال، الظلم الخالص هو الشرك. قال تعالى على لسان لقمان (عليه السلام) «.. يا بني لا تشرك بالله انَّ الشرك لظلم عظيم» سورة لقمان آيه رقم ١٣

وان الظلم: هو كل ما يضر الايمان ويفسده.

والظلم : هو كل ذنب ومعصية .

والظلم : هو الخروج عن وسط العدل.[٤]

والظلم : هو الايمان بلا عمل صالح[٥]، فمن آمن وأفسد ولم يعمل صالحاً فهو على درجه من الظم. والظلم: هو بخس النفس الثواب كقوله تعالى حكاية عن ايوب (عليه السلام) (... اني كنتُ من الظالمين) سورة الانبياء آية ٨٧ حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه[٦].

والظلم: هو النقصان والضر قال تعالى ﴿... وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ اي وما نقصونا وما ضرّونا ولكن كانوا انفسهم يضرون[٧].

والظلم هو كل سوء وفعل قبيح قال تعالى ﴿الا من ظلم ثم بدّل حسناً بعد سوء فاني غفور رحيم﴾ سورة النمل آية ١١، اي بدّل توبة وندماً على ما فعله من القبيح.

والظلم: هو كل ما يستتبع الاضلال الالهي قال تعالى:

﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله

الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[٨] سورة ابراهيم آيه رقم ٢٧.

الظلم : اسبابه، وسائله، اهدافه، نتائجه

لكل أمر أُسس اربعة يعتمدها، لابد منها بالرغم من توسع أو ضيق دوائرها وحسب أهميتها ودورها وآثارها وبمعنى آخر: ان اي أمر يراد له الوجود ويجرى الى نهاية شوطه لابد وان تكون له أربعة امور يرتكز عليها والظلم واحد من هذه الامور بل له وجود قديم مع قدم الانسان، تنطبق عليه القاعدة ايضاً كالباقين، فللظلم اسباب ووسائل واهداف نتائج، سنحاول باختصار المرور بها:

أولا أسباب الظلم: للظلم أسباب كثيرة، اذا تواجد بعضها كان كفيلاً بوجوده، ونستطيع ان نقسم اسبابه الى طائفتين ينضوي تحت كل طائفة مجموعة من هذه الاسباب وهما:

الطائفة الاولى: وهذه الطائفة تشترك فيها الاسباب التي تؤدي الى عدم الايمان باليوم الآخر نهائياً، لا من قريب ولا من بعيد، ونستطيع ان نقول أنها أربعة اسباب وهي:

١ـ الالحاد

٢ـ الكفر

٣ـ الشرك

٤ـ النفاق

فالملحد او الكافر او المشرك او المنافق اساساً لا يؤمن بيوم القيامة، وان الله سيبعث من في القبور فاما الى نعيم، واما الى جحيم.

١ـ الالحاد: والالحاد اسم خص به اعتقاد نفي التقديم مع اظهار الاسلام، واصل الالحاد الميل ومنه سمي اللحد لحداً لانه يحفر في جانب القبر[٩]. و الالحاد الاعتراض، قال تعالى «لسان الذين يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين» قال الفرّاء يَلحدون، فمن قرأ يَلحدون أراد يميلون، ويُلحدون يعترضون قال وقوله: «ومن يُرد فيه بالحاد بظلم» اي باعتراض، وقال الزجاج ومن يرد فيه بالحاد؛ قيل: الحادُ فيه الشك في الله، وقيل كل ظالم فيه ملحد، وفي الحديث: احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه أي ظلم

وعدوان[١٠].

وقد ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ومن يُرد فيه بالحاد بظلم﴾ الحج آية ٢٥ انه الشرك ... وقيل نزلت هذه الآية في عبدالله بن خطل، حين قتل الانصاري وهرب الى مكة كافراً، فأمر النبي (ﷺ) بقتله يوم الفتح كافراً[١١].

اذن هناك الشك في الله والشرك وكفر الالحاد وهو ما ينطبق عليه (الملحد) بكلمة الدهري والدهريين قال تعالى: ﴿وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون﴾ الجاثية: ٢٤

يعني تولد / الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع، واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة، واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت، فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك، ولا حاجة في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار، فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله بين انكار البعث والقيامة[١٢].

اذن هذه الطائفة من الناس - وهم اشبه بالآدميين من حيث الخَلق - عقائدهم هي الشك في الله والشرك والكفر وكفر الالحاد وعدم الايمان بالله واليوم الآخر.

٢ - الكفر: للكفر خصال كثيرة، وان الكفر اسم يقع على ضروب من الذنوب فمنها الشرك بالله ومنها جحد النبوة ومنها استحلال ما حرّم الله وهو راجع الى جحد النبوة غير ذلك واصله التغطيه[١٣].

و الكفر نقيض الايمان، آمنا بالله وكفرنا بالطاغوت، كفر بالله يكفر كفراً وكفوراً كفراناً قال تعالى ﴿فأبى الظالمون الّا كفوراً﴾ - قال الاخفش هو جمع الكفر مثل بُرد وبرود وروى عن النبي (ﷺ) انه قال: قتال المسلم كُفر وسبابه فسق ومن رغب عن ابيه فقد كفر.

قال بعض اهل العلم: الكفر على اربعة انحاء:

كفر انكار بان لا يعرف الله اصلا، ولا يعترف به، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق:

من لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

فاما كفر الانكار فهو ان يكفر بقلبه ولسانه، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد، كذلك روي في قوله تعالى ﴿ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ اي الذين كفروا بتوحيد الله.

واما كفر الجحود فان يعترف بقلبه، ولا يقر بلسانه فهو كافر جاحد ككفر ابليس، وكفر أميّه بن ابي الصلت ومنه قوله تعالى ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ يعني كفر الجحود.

و اما كفر المعاندة فهو ان يعرف الله بقلبه، ويقر بلسانه ولا يدين به حسداً وبغياً ككفر أبي جهل واضرابه وفي التهذيب: يعترف بقلبه ويقر بلسانه.

واما كفر النفاق فان يقر بلسانه ويكفر بقلبه، ولا يعتقد بقلبه[١٤].

والكافر هو الذى جحد ما أوجب الله معرفته، من توحيده وعدله ومعرفه نبيّه واليوم الآخر، وما جاء به الرسول (ﷺ) من اركان الشرع، فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً. قال تعالى ﴿ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ البقرة:٦.[١٥]

٣ - الشرك: الشريك والاشراك كما يقال اليتيم والايتام والشريك مفرد جمعه اشراك وشركاء جاءت من الشَرِكة والشِّركه، والشِّركة مخالطة الشريكين يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك احدهما الآخر، واشرك بالله، جعل له شريكاً في ملكه والاسم: الشِرك قال تعالى حكاية عن عبده لقمان انه قال لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم﴾ لقمان ١٣: والشِرك ان يجعل لله شريكاً في ربوبيته.

و الشِرك ان يعدل به غيره سبحانه، قال تعالى ﴿وان تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً﴾ الاعراف:٣٣ لان معناه عدلوا به، ومن عدل به شيئاً من خلقه فهو كافر مشرك، لان الله وحده لا شريك له، ولا نِدَّ له، وقال ابوالعباس في قوله تعالى ﴿والذين هم مشركون﴾ معناه: الذين هم صاروا مشركين بطاعتهم للشيطان، وليس المعنى انهم آمنوا بالله واشركوا بالشيطان، ولكن عبدوا الله وعبدوا معه الشيطان فصاروا بذلك مشركين، ليس أنهم أشركوا بالشيطان وآمنوا بالله وحده. وفي الحديث: الشرك أخفى من دبيب النمل.[١٦]

٤ ـ النفاق: هو اظهار الايمان مع إسرار الكفر، وسمي بذلك تشبيهاً بما يفعله اليربوع وهو أن يجعل بجحره باباً ظاهراً وباباً باطناً يخرج منه اذا طلبه الطالب، ولا يقع هذا الاسم على من يظهر شيئاً ويخفي غيره الا الكفر والايمان، وهو اسم اسلامي والاسلام والكفر اسمان اسلاميّان، فلمّا حدثا وحدث في بعض الناس اظهار احدهما مع ابطان الآخر سمي ذلك نفاقاً.[١٧]

و يقول ابوعبيد: سمي المنافق للنفق وهو السرب في الارض . ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنفاق فعل المنافق والنفاق: الدخول في الاسلام من وجه والخروج عنه من آخر وفي الحديث ان حنظلة نافق اراد انه اذا كان عند النبي (ﷺ) اخلص وزهد في الدنيا، واذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها[١٨].

اذن المنافق هو من يظهر كلمة الايمان ليخدع بها المؤمنين وليحقن بها دمه ويحفظ ماله وعِرضه، وليحصل على المكاسب والمنافع ويستبطن الكفر ولكن نهاية المطاف يجد نفسه انه خدع نفسه ولم يخدع الآخرين قال تعالى ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله باليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون﴾ البقرة ٨-٩

اذن نصل الى نتيجه ان هذه الطائفة تلتقى بحقيقه قائمة واحدة هى عدم الايمان باليوم الآخر فضلا عن عدم الايمان بالله سبحانه كي يتحلل ويفعل ما يشاء في الحياة الدنيا بحجه عدم وجود الحساب والعقاب والثواب نهائياً.

الطائفة الثانية: اما هذه الطائفة فهي تدعي انها تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اليوم الآخر ولكن لا ترتب الاثر، فهي تدعي انها تؤمن بالمقدمات وهي مفردات العقيدة الصالحه ولكنها لا تلتزم بما أوجب الله سبحانه و تعالى عليها، فهي ذات ايمان ضعيف لا يوصلها الى العمل ولا يحقق لها ما تزعم، فهم يعملون عمل اهل النيران ويطلبون به الجنان.

فهم يتخلفون عن الفرائض كلها او معظمها ويرتكبون المحرمات بنفس المستوى ومن جملة اسباب الظلم في هذه الطائفة هي:

١ ـ الحسد
٢ ـ الحقد أو الغِل
٣ ـ الكبر
٤ ـ الجهل : بشقيه البسيط والمركب
٥ ـ الضعف
٦ ـ الفقر
٧ ـ الطمع
٨ ـ الجشع والحرص
٩ ـ الغرور
١٠ ـ تصريف الطاقات، وغيرها كثير.

١) الحسد: وهو معروف، جاء من حسده يحسِده ويحسُدُه حسداً، وحَسَده اذا تمنى ان تتحول اليه نعمته وفضيلته او يسلبهما وعن الجوهري: الحسد أن تتمنى زوال نعمة المحسود اليك. وقطعاً الحسد يدفع الى ظلم المحسود لانه يرى الرجل لاخيه نعمة فيتمنى ان تزول عنه وتكون له دونه، اما الغبط: ان يتمنى ان تكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه[١٩].

و اشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير للاخرين دونه مما يدفعه لارتكاب اصناف الشرور والظلم قال تعالى ﴿قل اعوذ برب الفلق ... ومن شر حاسد اذا حسد﴾ سورة الفلق

٢) الحِقد او الغِل: قال تعالى ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ الاعراف ٤٣. والحِقد: امساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها والحِقد: الضِغن والجمع أحقاد وحُقود، ورجل حَقود: كثير الحقد.[٢٠]

الغِل والغليل الغش والعداوة والضِغن والحقد والحسد ورجل مُغِل : مضبّ على حقد.[٢١]

و كل هذا مما يؤدى الى التطاول على الآخرين وسلب حقوقهم وظلمهم، لذا تنزع الاغلال على ابواب الجنه فتكون كمبارك الابل . قال القرطبي « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الغل على ابواب الجنه كمبارك الابل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين »[٢٢].

٣) الكبر: الكبر هو اظهار عظم الشان وهو في صفات الله تعالى مدح لان شأنه عظيم، في صفاتنا ذم لان شأننا صغير، وهو اهل للعظمة ولسنا لها بأهل، اما فينا فهو خاصة رفع النفس فوق الاستحقاق[٢٣]، مما يؤدى بصاحبه الى رفع قدره فوِ حقه وأن الكبر درجات : أ ـ التكبر على الله، ب ـ التكبر على الانبياء والرسل، جـ ـ التكبر على اوامر الله تعالى د ـ التكبر على عباد الله تعالى وعن حكيم قال سألت الصادق (عليه السلام) عن أدنى الالحاد قال (الكبرُ أدناه)[٢٤] فهو يرى الناس صغاراً ويرونه صغيراً مما يؤدى به الى ظلم الآخرين وعدم اعطائهم قدرهم ويشعر بأنه ذا فضل على الآخرين وعليهم رد الجميل، ولمّا لم يجد ذلك يتعامل عليهم ويتجاوز على حقوقهم وشخوصهم.

٤) الجهل : والجهل رأس الظلم بطائفتيه الاولى والثانية فهو مصدر اساس لكل ظلم الظلم على قسمين: بسيط ومركب، اما البسيط: فهو يجهل ويعلم انه جاهل من قبيل انه يجهل اللغة الفلانية ان يتكلّم بها وامر هذا الجهل هيّن، اما المركب أو المعقد: فهو يجهل ويجهل انه جاهل بل يعتقد انه عالم بالامر الفلاني، ويراد لهذا ان ينتقل مرتين الاولى من الجهل المركب الى الجهل البسيط والثانية من البسيط الى العلم.

و الجهل رأس كل بلية وكل ظلم.

فالجاهل يتصور نفسه بصورة العالم ولا يجوز خلاف ما يعتقده وان كان قد يضطرب حاله فيه لانه غير ساكن النفس اليه[٢٥] ان الجهل ضد الحلم او كما قال بعضهم انه ضد العلم ﴿.. قالوا اتتخذنا هزواً قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين﴾ البقرة : ٦٧، أي معاذ الله ان اكون من المستهزئين، وانما قال من الجاهلين لان الاستهزاء لا يصدر الا عن جاهل، وان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب الجهل.[٢٦]

وليعلم ان الجاهل ليس انساناً بالحقيقة، وانما يطلق عليه الانسان مجازاً، اذا فضل الانسان عن سائر الحيوانات، انما هو ادراك كلي المعبر عنه بالعلم لمشاركتها معه في سائر الامور.[٢٧]

٤) الضعف: والضعف يؤدي الى الظلم، ذلك اما ان يكون مطمعاً للظالمين مما يغري الاقوياء على الضعفاء، فيكون ضعف الضعيف سبباً لظلم الظالم قال تعالى ﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنه للقوم الظالمين﴾ يونس : ٨٥

فالضعيف بماله من ضعف يكون مرتعاً واداةً طيّعةً وفتنةً للقوي الظالم، وان كانت قوة الظالم نسبيّة، أي نسبة لهذا الضعيف، والفتنة هنا جاذبية كما هي عليه جاذبية الحب فتنةً للانسان واغراءاً له.

والضعف من جهة أُخرى سبب للظلم، لان القوي العزيز يستغني بقوته عن ظلم الآخرين ولا يحتاج الى تسخيرهم وسلبهم، لذا نجد ان الظالمين كلهم ضعفاء في واقعهم حتى وان وجد من هو أضعف منهم، وان اعتبروا انفسهم اقوياء قياساً للضعفاء فَهُم باقون ضعفاء.

٦) الفقر: والفقر ضد الغني مثل الضعف ضد القوة، وقدر ذلك انه يكون له ما يكفي عيالة، ورجل فقير من المال، والفقر بمنزلة كسر الفِقار في تعذر المراد قال تعالى ﴿الشيطان يعدكم الفقر...[٢٨]﴾ البقرة: ٢٦٨ فالفقير قد يؤدي فقره الى ظلم الآخرين بسرقتهم او التحايل عليهم او اغتصاب حقوقهم يجد نفسه انه مظلوم في هذا المجتمع الظالم، فينتصر لذاته، وقد يحصل العكس حيث يكون الفقير مطمعاً للغني في ان يستغله لفقره فيظلمه.

٧) الطاقة الاضافية: قد يتمتع البعض بطاقات اضافية من المال والجاه والسمعة والقدرة او التسلط والحكم، مما يدفعه زهوّ ذلك وسكرته ونشوته الى ظلم الآخرين تلذذاً وارضاءاً للنفس، حيث يجدها فوق الجميع وقادرة على ظلم الآخرين ومن هنا قال الامام على (عليه السلام) «اياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً الا الله».

٨) الطمع : والطمع ضد اليأس وهو التوقع من الناس في أموالهم[٢٩] فالطمع فقر وان اليأس غنى، ويقال طمع فيه اي حرص عليه ورجاه، والطمع لا حدود له مما يؤدي بصاحبه الى ظلم الآخرين لانه يعلّق النفس بما تظنه من النفع والامل والرجاء. قال تعالى ﴿ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمت الله قريب من

المحسنين﴾ الاعراف : ٥٦ اي ادعوه خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه، وقيل خوفاً من الرد وطمعاً في الاجابة.[٣٠] فالنفس الطماعية توزعُ بصاحبها الى ظلم الآخرين من اجل منافع ومكاسب آنية في كثير من الاحيان لا ينتفع بما يسلبه من الآخرين بل يدعه وراءه.

٩) الجشع : والجشع اشد الحرص وهو ان تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك، ورجل جَشِعٌ بَشِعٌ : يجمع جزعاً وحرصاً وخبث نفس، والجشع : المتخلق بالباطل وما ليس فيه.[٣١] الجشع أشد الطمع فهو ضرب من ضروب الحرص وخبث النفس مما يؤدي بصاحبه الى ظلم الآخرين وعدم التورع في انزال البلاء عليهم ارضاءاً لجشعه وطمعه.

١٠) الغرور: من غرّه يغرّه غرّاً وغروراً، فهو مغرور وغرير أي خدعه وأطمعه بالباطل.

الغَرور: ما غرّك من انسان وشيطان ودنيا قال تعالى ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ لقمان : ٣٣. اذا كان الامر كذلك فلا تغتروا بالدنيا فانها زائلة لوقوع [ذلك] اليوم المذكور بالوعد الحق (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعني لا ينبغي ان تغرنكم بنفسها ولا ينبغي ان تغتروا [بها] وان حملكم على محبتها غارّ من نفس امارة او شيطان.[٣٢]

فالغرور يؤدى بصاحبه الى الطمع والجشع والخداع بالباطل وكل ذلك يؤدي الى ظلم الآخرين ارضاءاً لغروره.

ثانياً وسائل الظلم: للظلم وللظالم وسائل وادوات يعتمدها ويستخدمها من اجل الوصول الى اهدافه ومن أهمها:

١ ـ الاعتداء بشتى صنوفه المادية منها والمعنوية

٢ ـ الاستهزاء والسخرية

٣ ـ الكذب

٤ ـ الافتراء

٥ ـ التسقيط

٦ ـ الطرد والابعاد والتهجير

٧ ـ السجن : قال تعالى ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ..﴾ الانفال : ٣٠

٨ ـ القتل : يقول افلاطون في جمهوريته ٤٦٦ « ومن يقتل الانسان ظلماً وعدواناً، ويذِ بلسان وفم دنسين دماء اهله ويشردهم ويقتلهم .. فمن المحتم ان ينتهي به الامر الى ان يصبح طاغيه ويتحول الى ذيب ... »[٣٣]

ثالثاً: اهداف الظلم: وللظلم والظالم اهداف يسعى الى تحقيقها ومن اهم تلك الاهداف:

١ ـ التسلط على الآخرين

٢ ـ تسخيرهم من اجل منافعه ومطامعه

٣ ـ القضاء على خصومه ومنافسيه من أجل تحقيقه مآربه والانفراد بتنفيذ مقاصده

٤ ـ اكتساب المصالح والمنافع قدر المستطاع والتمتع بملذات الحياة قدر الامكان.

٥ ـ تحكيم افكاره وافرادها في الوجود دون غيرها، فتكون حاله الاستبداد والطغيان له خالصه دون غيره.

و لا يفوتنا ان نذكر ان الظلم له ثلاثه شعب، فبحسب تلك الرتب او الشعب تكون الاهداف فبالشهوة يصير الانسان ظالماً لنفسه، وبالغضب ظالماً لغيره، وبالهوى ظالماً لربه، ولهذا قال النبي (ﷺ) الظلم ثلاثه : ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم عسى الله ان يتركه . فالظلم الذى لا يغفر هو الشرك بالله (ان الشرك لظلم عظيم) والظلم الذى لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا، والظلم الذى عسى الله ان يتركه، هو ظلم الانسان نفسه[٣٤]، وقال النبي (ﷺ) واما علامة الظالم فاربعة: يظلم مَن فوقه بالمعصية ويملك من دونه بالغلبة، ويبغض الحق، ويظهر الظلم[٣٥].

رابعاً نتائج الظلم: للظلم نتايج وخيمة جداً في الدنيا والآخرة اما في الحياة الدنيا: فان الظلم يؤدى الى فقدان الامن وانتشار الكراهية والتطاول على المقدسات وسلب الحقوق تفشّي الامراض والاوبئة وزيادة مروّعة لنسبة الجريمة بشتى صنوفها من سرقة واغتصاب وقتل فردي وجماعي واحياناً تباد امم بأكملها وتسحق شعوب بسبب ظلم الطواغيت، حتى بلغ الظلم ظلم الحيوان والنبات والطبيعة والجو وكل ما خَطر ببالك فبسبب الظلم تفشّت الامية، وانتشر الجهل، وزاد الشذوذ الجنسي وكثرت العنوسة

العزوبة، وزادت البطالة وهي رأس كل بلاء، والعداوة والبغضاء، وكثر الانتحار الفردي والجماعي، وبسبب الظلم كثر أبناء الزنا واولاد الشوارع والمنقطعين التائهين وعمّت الفوضى وأصبح الانسان متهم مشكوك في أمره حتى ولو في مسقط رأسه.

وبسبب الظلم أصبح الانسان لا يميّز ليله من نهاره وأصابه العطب وهو يعيش دوّامه من أجل الحياة أياماً. وبسبب الظلم تنفق ثلاثة ارباع خيرات الارض من اجل التسابق في التسلح، بأخطر وافتك الاسلحة. الا يكفي سلاح دولة واحدة ان تفجر الارض خمسين مرّة؟

و بسبب الظلم الكل يخاف الكل، والكل يحذر الكل ويتربص به الدوائر وقد انفقدت الثقه بين الناس، وبسبب الظلم قصر عمر الانسان الذي هو أثمن رأسمال يملكه. وبسبب الظلم زاد الارهاب والرعب والفزع والجزع و...

واكثر من هذا فالظالم يقف بين ان يكون مؤمناً ليكون عادلاً، وبين ان يكون ظالماً ليكون غير مؤمن حيث فهمنا ان الرسالات كلها اساس العدل لقوله تعالى ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ سورة الحديد: ٢٥. فاذا جاءت الرسالات بالعدل والذين يتحركون ظالمين اذا كانوا بعيدين عن خط الرسالات، ودوائر الظلم الثلاث وكما قال الامام علي (عليه السلام) ألا وأن الظلم ثلاثه، فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم لا يطلب..)[٣٦]

فهناك ظلم في المجتمع وظلم في الاسرة وظلم مع الجيران وظلم في الدائرة التي تحيط بالانسان اينما كان، فلنقتلع الظلم من عقولنا ومن قلوبنا ومن مشاعرنا[٣٧].

قال تعالى ﴿ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشه ضنكى ونحشرهُ يوم القيامه اعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنتُ بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾ طه: ١٢٤-١٢٦.

اما في الدنيا: فالذي يعرض عن القرآن وعن طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فسيكون له عيشاً ضيقاً ضنكاً لان الحرص والجشع والطمع يتسلط عليه والشح يغلبه فيقبض يده على الانفاق وهو في حيرة من أمر دنياه يعيش التعاسه وان كان ذا مال وجاه...

واما في الآخرة: فانه يحشر اعمى البصر كما هو أعمى البصيرة، وقيل اعمى عن الحجة، فيقول أي رب لم حشرتني اعمى وقد كنت في الدنيا مفتوح العينين، يأتيه الجواب ان آياتنا اتتك واضحة منيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك نتركك على عماك.[٣٨]

أي الاعمال تكون ظلماً؟

نحن عندما نقول كلمه ظلم يتبادر الى الاذهان ان معناه الظلم الاجتماعي، وهو التعدي الى حق اجتماعي بسلب الأمن من بعضم للبعض الآخر من افراد المجتمع، او سلب عرضهم او مالهم من غير حق مشروع، ولكن الناس توسعوا بعد ذلك فسمّوا كل مخالفه لقانون او سُنّة جارية او عادة مشروعة ظلماً بل كل ذنب أو معصية أو كل تخلّف عن اداء فرض او ارتكاب مُحرَّم لخطاب الهي ظلماً من الذنب بالنسبة الى نفسه لما لله سبحانه حق الطاعة المشروع، بل مخالفة التكاليف جميعاً يُعد ظلماً وان كان عن سهو او نسيان او جهل فهو ظالم لنفسه بانتقاص حقها، بل اكثر من هذا حتى المتسامح في اتباع التعاليم والارشادات الصحيّة او المخالف لشيء من العوامل المؤثرة على بنيته الجسدية ومزاجه النفسي ولو من غير عمد يُعدُّ ظالماً لنفسه، وهذا يجرُّنا الى التوسع في معنى الظلم من جهه تحليله.[٣٩]

قال تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اوليك لهم الامن وهم مهتدون﴾ سورة الانعام آية ٨٢ هنا اشتراط الايمان في اعطائه الامن من كل ذنب ومعصية يفسد اثره بعدم الظلم، والا يلبس بظلم، واللبس الستر كما ذكر الراغب في المفردات.

والظلم ذو مراتب مختلفة باختلاف الافهام، فمن الظلم ما هو معصية اختيارية بالنسبة الى قوم وليس بها عند آخرين. فالواقف على مفترق طريقي الشرك والتوحيد، هو الذي يرى ان للعالم خالقاً ومدبراً وفاطراً وهو الذي خلقها وأمسك أرضها وسماءها ويرى نفسه وغيره مخلوقون مدبّرون، والانسانية الحقيقية تسعد بالايمان والخضوع لله سبحانه، فالظلم المنكشف لهذا الانسان هو الشرك بالله والايمان بسواه كما قال ابراهيم (عليه السلام)

﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزّل به عليكم سلطانا...﴾ الانعام آية رقم ٨١

فالايمان الذي يؤثر بهذا المستوى بالنسبة الى هذا الانسان انما يشترط في اعطائه الأمن من الشقاء بان لا يلبسه ظلم الشرك ومعصيته.

ومن طوى هذه المرحلة فآمن بالله وحده فانه يواجه من الظلم الكبائر من المعاصي كعقوق الوالدين، واكل مال اليتيم، وقتل النفس المحترمة والزنا وشرب الخمر، فإيمانه في تأثيره آثاره الحسنة يشترط باجتناب هذا النوع من الظلم، وقد وعده الله ان يكفّر عنه السيئات والمعاصي الصغيرة ان اجتنب كبائر ما ينهى عنه، قال تعالى ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُدخلاً كريماً﴾ سورة النساء: آية رقم ٣١

فالظلم هو مطلق معلق ما يضرُّ الايمان ويفسده من المعاصي، وان اطلاق الظلم يختلف بحسب اختلاف مراتب الايمان، فلا ظلم لانفسهم ولا في ايمانهم، ولا في اعمالهم البدنية والنفسية، الدينية والدنيوية، ولا لغيرهم من المخلوقات من الناس او الحيوانات فان الظالمين لا أمان لهم بل كل ظالم ينتظره العقاب من الله الديني والدنيوي والاخروي فضلاً عن عقاب الناس، ان الظالمين ما كان لهم اصل ثابت، ولا فرع باسق، فكذلك أصل الكلمة الخبيثة وهم الظالمون يبعدهم الله عن كرامته، ويمنعهم عن الفوز بثوابه وان الكفار اذا سئلوا في قبورهم قالوا: لا ندري، وانما قال ذلك لان الله أضله.[٤٠]

والظالمين يتبعون بشركهم اهواءهم بغير علم وتعقُّل فأضلهم الله بظلمهم، ولا هادي يهديهم وليس لهم ناصر ينصرهم، والظلم يستتبع الاضلال الالهي[٤١] قال تعالى ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخره ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ سورة ابراهيم آية ٢٧ وقال تعالى ﴿بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين﴾ سورة الروم آية ٢٩.

مقتضى الظاهر ان يقال: بل اتبع الذين اشركوا وانّما بدله من قوله: ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ فوصفهم بالظلم ليتعلل به ما سيصفهم بالضلال في قوله ﴿فمن يهدى من اضل الله﴾.

و تقسيم الامام على (عليه السلام) الظلم الى ثلاثة اقسام فيقول «الا وان الظلم ثلاثه فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب»، فاما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله قال الله سبحانه ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به﴾ واما الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنّات، واما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً القصاص هناك شديد ليس هو جرحاً بالمُدي، ولا ضرباً بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه ...»

قسّم (عليه السلام) الظلم ثلاثة اقسام احدها ظلم لا يغفر وهو الشرك بالله أي ان يموت الانسان مصرّاً على الشرك ويجب عند اصحابنا ان يكون اراد الكبائر وان لم يذكرها لان حكمها حكم الشرك عندهم. وثانيها الهنّات المغفورة وهى صغائر الذنوب هكذا يفسر أصحابنا كلامه (عليه السلام) وثالثها ما يتعلق بحقوق البشر بعضهم على بعض فان ذلك لا يتركه الله هملا بل لابد من عقاب فاعله، وانما أفرد هذا القسم مع دخوله في القسم الاول لتميّزه بكونه متعلقاً بحقوق بني آدم بعضهم على بعض وليس الاول كذلك ...[٤٢]

ويقول زين العابدين على بن الحسين (عليهما السلام) في دعائه « ... وأسألك في مظالم عبادك عني فأيّما عبد من عبيدك او أمة من امائك كانت له قبلي مظلمه ظلمتها اياه في نفسه او في عرضه أو في ماله او في اهله وولده او غيبة اغتبته بها او تحامل عليه بميل أو هوى او أنفة أو حميّه أو رياء أو عصبية، غائباً كان أو شاهداً (و) حياً كان او ميتاً فقصرت يدى وضاق وسعى عن ردها اليه والتحلل منه فأسألك يا من يملك الحاجات هي مستجيبه لمشيّته ومسرعة الى ارادته ان تصلي على محمد وآل محمد وأن ترضيّه عني بما شئت (بم شئت) وتهب لي من عندك رحمة...[٤٣]

ويقول (عليه السلام) في مكان آخر «اللهم وأيّما عبد من عبيدك ادركه مني دَرَك، او مسهُ من ناحيتي اذى، او لحقه بي او بسببي ظلم ففتُّهُ بحقه او سبقتُهُ بمظلمته، فصل على محمد وآله وأرضه عني من وجدك، واوفه حقه من عندك، ثم قني ما يوجب له حكمك، وخلصني مما يحكم به عدلك ...»[٤٤]

من هم اظلم الناس، وما هي صفاتهم؟

قال تعالى ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون﴾ سورة هود الآيات ١٨-٢٢. لقد وصف الله سبحانه هؤلاء الظالمين بصفات عديدة وذكر عاقبتهم.

١ ـ كونهم مفترين على الله قال تعالى ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ هود: ١٨ هؤلاء يفترون الكذب وقال تعالى ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذّب بآياته انه لا يفلح المجرمون﴾ يونس: ١٧، هنا استفهام انكاري، أي لا احد اظلم وأشد جرماً من هذين الفريقين: المفترى على الله كذباً، والمكذّب بآياته، فان الظلم يعظم بعظمه فاذا اختص بجنب الله كان أشد الظلم.[٤٥]

٢ ـ انهم يعرضون على الله في موقف الذل والهوان والخزي والنكال قال تعالى ﴿اوليك يعرضون على ربهم﴾ هود: ١٨

٣ ـ حصول الخزي والنكال والفضيحة العظيمة قال تعالى ﴿ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ هود: ١٨

٤ ـ كونهم ملعونين من عند الله مطرودين من رحمته قال تعالى ﴿الا لعنة الله على الظالمين﴾ هود: ١٨ وقال تعالى ﴿فاذّن مؤذن بينهم أن لعنةُ الله على الظالمين﴾ الاعراف: ٤٤، أي طرد الظالمين وابعادهم واقصائهم من رحمة الله يوم القيامة، وليس اللعن والرحمة يوم القيامة كاللعن والرحمة في الدنيا كما في قوله تعالى ﴿اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ البقرة: ١٥٩. وذلك ان الدنيا دار عمل ويوم القيامة يوم جزاء، فما فيه من لعنة أو رحمة هو ايصال ما ادّخر لهم اليهم، فلعن اللاعن احداً يوم القيامة طرده من رحمة الله الخالصة بالمؤمنين وتسجيل عذاب البعد عليه.[٤٦]

٥ ـ كونهم صادّين عن سبيل الله مانعين عن متابعة الحق قال تعالى ﴿الذين يصدّون عن سبيل الله﴾ هود: ١٩

٦ ـ كونهم يسعون في القاء الشبهات، وتحريف الدلايل المستقيمة قال تعالى ﴿ويبغونها عوجاً﴾ هود: ١٩

٧ ـ كونهم كافرين قال تعالى ﴿وهم بالآخره هم كافرون﴾ هود: ١٩

٨ ـ كونهم عاجزين عن الهروب او الفرار من عذاب الله سبحانه قال تعالى ﴿اولئك لم يكونوا معجزين في الارض﴾ هود: ٢٠، قال الواحدي: معنى الاعجاز المنع من تحصيل المراد. يقال أعجزني فلان أي منعني عن مرادي، ومعنى معجزين في الارض أي لا يمكنهم ان يهربوا من عذابنا، فانَّ هرب العبد من عذاب الله محال؛ لانه سبحانه وتعالى قادر على جميع الممكنات؛ ولا تتفاوت قدرته بالبعد والقرب والقوة والضعف، والمقام يدل على ان المراد من كونهم غير معجزين في الارض انهم لم يكونوا معجزين لله سبحانه في حياتهم الارضية حيث خرجوا عن زي العبودية فأخذوا يفترون على الله الكذب ويصدون عن سبيله ويبغونها عوجاً، فكل ذلك لا لان قدرتهم المستعارة فاقت قدره الله سبحانه ومشيئتهم سبقت مشيئته، ولا لانهم خرجوا من ولاية الله فدخلوا في ولاية غيره، وهم الذين اتخذوهم اولياء من اصنامهم وايضاً سائر الاسباب التي ركنوا اليها وذلك لقوله ﴿وما كان لهم من دون الله اولياء﴾ والنتيجة لاقدرتهم غلبت قدرة الله ولا شركاؤهم الذين يسمونهم اولياء لانفسهم اولياء لهم بالحقيقة يدبرون امرهم، ويحملونهم على ما يأتون به من البغي والظلم بل الله سبحانه هو وليهم، وهو المدبر لامرهم يجازيهم على سوء نياتهم واعمالهم بما يجرهم الى سوء العذاب ويستدرجهم من حيث لا يشعرون قال تعالى ﴿فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم﴾[٤٧] الصف: ٥٠

٩ ـ كونهم ليس لهم أولياء يدفعون عذاب الله عنهم، والمراد منه الرد عليهم في وصفهم الاصنام بأنها شفعاؤهم عند الله والمقصود ان قوله ﴿اولئك لم يكونوا معجزين في الارض﴾ دلَّ على انهم لا قدرة لهم على الفرار وقوله ﴿وما كان لهم من دون الله من اولياء﴾ هود: ٢٠ هو ان احداً لا يستطيع تخليصهم من ذلك العذاب، فجمع تعالى بين ما

يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم، وبيّن بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا والآخرة.

١٠ ـ كونهم يضاعف لهم العذاب قال تعالى ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ هود ٢٠، وسبب تضعيف العذاب في حقهم أنهم كفروا بالله وبالبعث وبالنشور، فكفرهم بالمبدأ والمعاد صار سبباً لتضعيف العذاب بل انهم مع ضلالهم الشديد، سعوا في اضلال الآخرين، ومنع الناس عن الدين الحق، فلهذا المعنى حصل هذا التضعيف عليهم.

١١ ـ كونهم كانوا في الحياة الدنيا لا يستطيعون السمع ولا يعقلون بمعنى لا يستجيبون لداعي الحق ولا يفكرون بما جاء به لهم من عند الله سبحانه لذا تجدهم عاجزين عن الوقوف على دلائل الله سبحانه وتعالى قال تعالى ﴿ .. ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ هود : ٢٠، ما كانوا يستطيعون السمع أي اهمالهم له ونفورهم عنه كما يقول القائل: هذا كلام لا استطيع ان اسمعه، وهذا مما يمجّه سمعي.

اذن نفى السمع والبصر بمعنى نفي الفايدة، فانهم لاستثقالهم استماع آيات الله والنظر فيها، وكراهيتهم لذلك أُجروا مجرى من لا يستطيع السمع ولا يبصر، فالكلام على الكناية.

١٢ ـ كونهم خسروا انفسهم قال تعالى ﴿اولئك الذين خسروا انفسهم﴾ هود: ٢١، اما خسرانهم فان الانسان لا يملك في الحقيقة ـ وذلك بتمليك من الله تعالى ـ الا نفسه، واذا اشترى لنفسه ما فيه هلاكها وضيعها بالكفر والمعصية فقد خسر في هذه المعاملة التي اقدم عليها نفسه كنايه عن الهلاك.[٤٨]

١٣ ـ كونهم[٤٩] باعوا الدين بالدنيا فقد خسروا، لانهم اعطوا الشريف، ورضوا بأخذ الخسيس، وهذا عين الخسران في الدنيا والآخرة فهذا الخسيس يضيع ويهلك، ولا يبقى منه أثر وهو المراد بقوله ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ هود : ٢١، فهذا الافتراء كان كذباً وافتراءًا ليس له وجود في الخارج من اوهامهم ومزاعمهم التي زينتها لهم الاهواء والهلوسات الدنيوية، وبانطواء بساط الحياة الدنيا تزول وتنمحي تلك الاوهام، ويضل ما لاح واستقر فيها من الكذب والافتراء، ويومئذ يعلمون ان الله هو الحق المبين، ويبدو لهم

من الله ما لم يكونوا يحتسبون.[٥٠]

١٤ ـ كونهم لا محالة ولا بد ان يكونوا خاسرين قال تعالى ﴿لا جرم أنهم في الاخرة هُمُ الاخسرون﴾ هود : ٢٢، مما تقدم ما زال الظالمون قد تركوا الرفيع الشريف ورضوا بالوضيع الخسيس فقد خسروا، ووجه كونهم في الاخرة هم الاخسرين، ان فرض انهم أخسر بالنسبة الى غيرهم من اهل المعاصي، فلا مطمع في نجاتهم من النار في الآخرة، كما لا مطمع في أن يفوزوا في الدنيا ويُسعدوا بالايمان قال تعالى ﴿الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون﴾ الانعام: ١٢.[٥١]

١٥ ـ وعد الله المؤمنين بهلاك الظالمين حتم قال تعالى ﴿ ... فأوحى اليهم ربهم لنهلكنَّ الظالمين * ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ ابراهيم : ١٣-١٤، أي أوحى الله سبحانه ـ وهو رب الرسل ـ اليهم وقد أُخذت صفة الربوبيّة الخاصة بهم لمكان توكلهم الجالب للرحمه والعنايه ـ واقسم لنهلكنّ هؤلاء المهددين لكم بظلمهم ولنسكننكم هذه الارض التي هددوكم بالاخراج منها، ونورثكم اياها لصفه مخافتكم مني ومن وعيدي، وكذلك نفعل فنورث الارض عبادنا المتقين.[٥٢]

ما هو سبب اجتراء الظالم على المظلوم؟

قال تعالى ﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين﴾ يونس ـ ٨٥

نحن نرى ان الذي يغري الاقوياء الظالمين على الضعفاء المظلومين، هو ما يشاهدون فيهم من الضعف فيفتتنون به فيظلمونهم، فالضعيف بما له من الضعف فتنة للقوي الظالم، كما ان الاموال والاولاد بما لديها من جاذبيّة الحب فتنة للانسان واغراءاً له، قال تعالى: ﴿انما اموالكم واولادكم فتنة﴾ التغابن: ١٥

والدنيا فتنه لطلبها، فسؤالهم ربهم ان لا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين سؤال منهم ان يسلبهم الضعف والذلة بسلب الغرض منه، وهو سلب الشيء بسلب سببه.[٥٣]

ما معنى الركون الى الظالم؟ ومن هو الظالم؟ وهل هناك فرق بين الظالم والذي يظلم؟

قال تعالى ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون﴾ هود: ١١٣

الركون الى الذين ظلموا هو الاعتماد عليهم والميل اليهم، إما بنفس الدين كأن يذكر بعض حقائقه بحيث ينتفع به او يغمض عن بعض حقائقه التي يضرهم افشاؤها، واما في الحياة الدينية كأن يسمح لهم بنوع من المداخلة في ادارة امور المجتمع الديني بولاية الامور العامة او المودة التي تفضي الى المخالطة والتأثير في شؤون المجتمع او الفرد الحيوية.

وبمعنى آخر هو الاقتراب في أمر الدين او الحياة الدينية من الذين ظلموا بنوع من الاعتماد والاتكاء يخرج الدين او الحياة الدينية عن الاستقلال في التأثير ويغيرهما عن الوجهة الخالصة، ولازم ذلك السلوك الى الحق عن طريق الباطل او احياء حق باحياء باطل وبالنتيجة اماتة الحق لاحياء الباطل.

والدليل على هذا الذي ذكرناه انه تعالى جمع في خطابه في هذه الآية بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين المؤمنين من أمته، والشؤون الخاصة به وبأمته وهي المعارف الدينية والاخلاق والسنن الاسلامية في تبليغها وحفظها واجرائها، والحياة الاجتماعية بما يناسبها ويطابقها، وولاية امور المجتمع الاسلامي، وانتحال الفرد بالدين واستنانه بسنة الحياة الدينية.

فليس للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا لأمته أن يركنوا في شيء من ذلك الى الذين ظلموا.

ولم يكن ظلم الامم الهالكة في شركهم بالله تعالى فقط، بل كان مما ذمّه الله من فعالهم اتباع الظالمين والفساد في الارض بعد اصلاحها وهو الاستنان بالسنن الظالمة التي يقيمها الولاة الجائرون ويستن بها الناس وهم بذلك ظالمون.

فالله سبحانه وتعالى كما انه ينهى ان يكونوا من الظالمين كذلك ينهى على ان يقتربوا منهم قال تعالى ﴿فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا

تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون﴾ هود: ١١٢ـ١١٣

نهى عن الميل اليهم والاعتماد عليهم والبناء على باطلهم في اصل الدين والحياة الدينية.[٥٤]

ووقوع الآيتين موقع النتيجة المتفرعة على ما تقدم يفيد ان المراد بالذين ظلموا في الآية ليس من تحقق منه الظلم تحققاً ما والا لعم جميع الناس الا اهل العصمه ولم يبق للنهي حينئذ معنى، وليس المراد بالذين ظلموا الظالمين، أي المتلبسين بهذا الوصف المستمرين في ظلمهم فإن لافادة الفعل الدال على مجرد التحقق معنى الصفة الدالّة على التلبس والاستمرار اسباباً لايوجد في المقام شيء ولا دلالة لشيء على شيء جزافاً.

بل المراد بالذين ظلموا اناس حالهم في الظلم حال اولئك الذين قَصَّهم الله في القرآن من الامم الهالكة، وكان الشأن في قصتهم انه تعالى اخذ الناس جملة واحدة في قبول الدعوة الالهية المتوجهة اليهم، ثم قسّمهم الى من قبلها منهم، والى من ردها ثم عبّر عمّن قبلها بالذين آمنوا في بضعه مواضع من القصص المذكورة وعمّن ردّها بالذين ظلموا، وما يقرب منه في اكثر من عشرة مواضع كقوله: ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ وقوله ﴿أخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ وقوله ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ وقوله ﴿الا إن ثمود كفروا ربهم﴾ وقوله ﴿الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾ الى غير ذلك فقد عبّر سبحانه عن ردهم وقبولهم قبال الدعوة الالهيه وبالقياس اليها بالفعل الماضي الدال على مجرد التحقق والوقوع، واما في الخارج من مقام القياس والنسبة فان التعبير بالصفة كقوله: ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ وقوله ﴿ما هي من الظالمين﴾ وقوله ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ الى غير ذلك ايضاً.

فالذين ظلموا من قوم نوح مثلاً صاروا بذلك ظالمين لكن العناية انما تعلقت بحسب المقام بتحقق الظلم منهم لا بصيرورته وصفاً لهم لايفارقهم بعد ذلك، ولذا ترى انه كلما خرج الكلام عن مقام القياس والنسبة بوجه عاد الى التعبير بالصفة كقوله تعالى ﴿بعداً للقوم الظالمين﴾ وقوله ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾.

لذا ذهب البعض في قوله ﴿الذين ظلموا﴾ دالا على مجرد تحقق ظلم ما وآخرون بمعنى الوصف، أي لا تركنوا الى الظالمين.

وقال الزمخشري «الى الذين ظلموا» أي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين، وحكى ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه، فلما افاق قيل له، فقال: هذا فيمن ركن الى من ظلم، فكيف بالظالم، وعن الحسن رحمة الله انه قال: جعل الله الدين بين لاءين[٥٥] [و لا تطغوا] هود: ١١٢ [ولا تركنوا] هود: ١١٣

و المحصل من ذلك ان الله سبحانه نهى نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمته عن الركون الى من اتسم بسمة الظلم، بأن يميلوا اليهم ويعتمدوا على ظلمهم في أمر دينهم أو حياتهم فهذا هو المراد بقوله ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا﴾ وعاقبة الركون الى الظالمين هو مس النار «فتمسكم النار» وقد جعلت عاقبة الركون الى ظلم أهل الظلم مس النار، وعاقبة نفس الظلم النار، وهذا هو الفرق بين الظلم والتلبس بالظلم نفسه.[٥٦]

عاقبة الظالمين

قال تعالى ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مُقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربّنا أخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل او لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام﴾ ابراهيم: ٤٢ ـ ٤٧

لقد كشف القرآن الكريم في هذه الآيات المباركات بان الله سبحانه وتعالى غير غافل عما يعمله هؤلاء الظالمون بما نرى تمتعهم واترافهم في العيش وتماديهم وافسادهم في الارض انما يمهلهم ويؤخر عقابهم وينتقم منهم في يوم تجمد فيه ابصارهم فلا تطرف اعينهم وقد امتدت اعناقهم ورفعت رؤوسهم، لا يقدرون على ردّ طرفهم وقلوبهم

مدهوشه فارغة عن كل حيله وحل وتدبير من شدة الاهوال فهو انذار للظالمين وتطمين للمظلومين بان الله سوف يقتص لهم من الظالمين فانه حكم عدل حينها يندم الظالمون ويلتمسون التأخير والتأجيل وهيهات لهم ذلك لانهم ﴿لو رُدُّوا لعادوا لما نُهُوا عنه وانهم لكاذبون﴾ الانعام: ٢٨.

كانوا يعتقدون الخلد والبقاء في الحياة الدنيا بما لديهم من قدرات بالرغم من ان عقولهم وان كانت مغلقة متحجرة تحدثهم بأنهم زائلون لا محال ـ ولكن العصبية العمياء و الشهوات والشيطان كل اولئك تحكموا فيهم واردوهم النار، ولم يتعضوا بمن سبقهم من الظالمين الذين زالوا قبلهم واندرسوا من الامم السابقة وظهر لهم ان هذه الدعوة حقه ويعقبها عذاب الاستئصال كما جرى لمن مضى فالعلة واحدة والنتيجة واحدة ولا فرق بين الفريقين.

فالكل من الظالمين والكل يجتمعون في النار على صعيد واحد والعذاب على قدر الظلم الذي صدر منهم في الحياة الدنيا. كانوا يكيدون ويمكرون المكر السيئ، ولكن الله سبحانه كان اعلم بهم في انفسهم، ومن الواضح ان المكر انما يكون مكراً اذا لم يحط به الممكور به لجهله، اما اذا كان الممكور به عالماً بما هيّأه الماكر من المكر، وقادراً على دفعه لغى المكر او عاد المكر على نفس الماكر كما قال تعالى ﴿وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون﴾ الانعام: ١٢٣، وردهم سبحانه بان مكرهم مهما عظم فانه سوف يعود عليهم ومهما كبر فان الله سبحانه قادر على دفعه مهما كانت شدته وسوف يعود عليهم بالويل والثبور ﴿ولا يحيق المكر السيء الا بأهله﴾ فاطر: ٣٥ وقال تعالى ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ الانفال: ٣٠، فجعل العقاب من سنخ الجريمه وجنسها.

فان الله سبحانه قطعاً سيفي بما قطع على نفسه من نصر رسله ومعاقبة المتخلفين عن دعوتهم، وسينتقم منهم وينتصف للمظلوم من الظالم[٥٧]. وقال تعالى ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به

لذا ذهب البعض في قوله ﴿الذين ظلموا﴾ دالا على مجرد تحقق ظلم ما وآخرون بمعنى الوصف، أي لا تركنوا الى الظالمين.

وقال الزمخشري «الى الذين ظلموا» أي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين، وحكى ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه، فلما افاق قيل له، فقال: هذا فيمن ركن الى من ظلم، فكيف بالظالم، وعن الحسن رحمة الله انه قال: جعل الله الدين بين لاءين[٥٥] [و لا تطغوا] هود: ١١٢ [ولا تركنوا] هود: ١١٣

و المحصل من ذلك ان الله سبحانه نهى نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمته عن الركون الى من اتسم بسمة الظلم، بأن يميلوا اليهم ويعتمدوا على ظلمهم في أمر دينهم أو حياتهم فهذا هو المراد بقوله ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا﴾ وعاقبة الركون الى الظالمين هو مس النار «فتمسكم النار» وقد جعلت عاقبة الركون الى ظلم أهل الظلم مس النار، وعاقبة نفس الظلم النار، وهذا هو الفرق بين الظلم والتلبس بالظلم نفسه.[٥٦]

عاقبة الظالمين

قال تعالى ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مُقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفدتهم هوًاء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربّنا أخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل او لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام﴾ ابراهيم: ٤٢ ـ ٤٧

لقد كشف القرآن الكريم في هذه الآيات المباركات بان الله سبحانه وتعالى غير غافل عما يعمله هؤلاء الظالمون بما نرى تمتعهم واترافهم في العيش وتماديهم وافسادهم في الارض انما يمهلم ويؤخر عقابهم وينتقم منهم في يوم تجمد فيه ابصارهم فلا تطرف اعينهم وقد امتدت اعناقهم ورفعت رؤوسهم، لا يقدرون على ردّ طرفهم وقلوبهم

مدهوشه فارغة عن كل حيله وحل وتدبير من شدة الاهوال فهو انذار للظالمين وتطمين للمظلومين بان الله سوف يقتص لهم من الظالمين فانه حكم عدل حينها يندم الظالمون ويلتمسون التأخير والتأجيل وهيهات لهم ذلك لانهم ﴿لو رُدُّوا لعادوا لما نُهُوا عنه وانهم لكاذبون﴾ الانعام: ٢٨.

كانوا يعتقدون الخلد والبقاء في الحياة الدنيا بما لديهم من قدرات بالرغم من ان عقولهم وان كانت مغلقة متحجرة تحدثهم بأنهم زائلون لا محال ـ ولكن العصبية العمياء و الشهوات والشيطان كل اولئك تحكموا فيهم واردوهم النار، ولم يتعضوا بمن سبقهم من الظالمين الذين زالوا قبلهم واندرسوا من الامم السابقة وظهر لهم ان هذه الدعوة حقه ويعقبها عذاب الاستئصال كما جرى لمن مضى فالعلة واحدة والنتيجة واحدة ولا فرق بين الفريقين.

فالكل من الظالمين والكل يجتمعون في النار على صعيد واحد والعذاب على قدر الظلم الذي صدر منهم في الحياة الدنيا. كانوا يكيدون ويمكرون المكر السيئ، ولكن الله سبحانه كان اعلم بهم في انفسهم، ومن الواضح ان المكر انما يكون مكراً اذا لم يحط به الممكور به لجهله، اما اذا كان الممكور به عالماً بما هيّأه الماكر من المكر، وقادراً على دفعه لغى المكر او عاد المكر على نفس الماكر كما قال تعالى ﴿وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون﴾ الانعام: ١٢٣، وردهم سبحانه بان مكرهم مهما عظم فانه سوف يعود عليهم ومهما كبر فان الله سبحانه قادر على دفعه مهما كانت شدته وسوف يعود عليهم بالويل والثبور ﴿ولا يحيق المكر السيء الا بأهله﴾ فاطر: ٣٥ وقال تعالى ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ الانفال: ٣٠، فجعل العقاب من سنخ الجريمه وجنسها.

فان الله سبحانه قطعاً سيفي بما قطع على نفسه من نصر رسله ومعاقبة المتخلفين عن دعوتهم، وسينتقم منهم وينتصف للمظلوم من الظالم[٥٧]. وقال تعالى ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به

يستهزءون ... والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ الزمر: ٤٧-٥١

هؤلاء الظالمون لو كان لهم ضعفي ما في الارض من اموال وذخائر وكنوز لجعلوه فدية دفعاً للعذاب الذين يكابدونه يوم القيامة، حيث وجدوا من الاهوال والاخطار والبلاء مالم يخطر على بالهم في الحياة الدنيا وما كانوا يتصورون حيث ظهر لهم العقاب الصارم لظلمهم لانفسهم او للناس او لعدم طاعه ربهم وبالنتيجة نزل عليهم ما كانوا به يستهزئون ... وسينطبق ما جرى على الظالمين السابقين سيكون على الظالمين اللاحقين والتابعين وما هم بفائتين عن عذاب الله وعقابه.[٥٨]

و قال تعالى:

﴿... وترى الظالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل الى مردٍ من سبيل وتراهم يُعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا انّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم واهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ الشورى: ٤٤-٤٦

كما تقدم الكلام نجد ان من اسماء يوم القيامة (يوم الحسرة) و(يوم الندامة) وما يصيبُ هؤلاء الظالمين نتيجة فوات الفرصة وما استفادوا من طاقاتهم يوم القيامة ولا يربّون اهليهم على العمل الصالح حتى ينتفعوا من حسنات ذريتهم يومئذ[٥٩] وحيث يكونوا متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل، فيبتدئ نظرهم من تحريك اجفانهم بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح أجفانه عليها، ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى من يريد، وقيل يحشرون عمياً فلا ينظرون الا بقلوبهم، وذلك نظر من طرف خفي.[٦٠]

وهكذا تكون خسارتهم مضاعفة يوم القيامة في ذلك اليوم الرهيب كما انهم خسروا انفسهم واهليهم فقد خسروا انصارهم واعوانهم وكان مصيرهم الى النار.

ان الله لايظلم الناس والعذاب الذي يكابدونه في الدنيا والآخرة هو نتيجة طبيعية لظلمهم

لقد تحدث القرآن الكريم كثيراً في هذا المضمار بان الله سبحانه لا يظلم عباده وهو ليس بحاجة الى ظلم احد ولا يتصف بذلك وانما الانسان نفسه يظلم نفسه والآخرين، وما يكابده في الدنيا والآخرة من نتائج وخيمه هو يتحمل وزرها ومسؤوليتها.

قال تعالى ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ السجدة: ٤٦

أي ان العمل قائم بصاحبه واصفاً له، فلو كان صالحاً نافعاً انتفعت به نفسه، وان كان سيئاً ضاراً تضررت به نفسه. ولو كان ظلماً كان تعالى في اثابته وتعذيبه من لا يُحصى من العباد في ما لا يحصى من الاعمال ظلاما للعبيد لكنه ليس بظلم ولا انه تعالى ظلام لعبيده و بذلك يظهر وجه التعبير باسم المبالغة في قوله ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ ولم يقل: وما ربك بظالم للعبيد.[٦١]

و من قبيل قوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشه ضنكى ونحشره يوم القيامة اعمى ...﴾ طه: ١٢٤-١٢٦

كما ورد عن النبي (ﷺ) انه قال [اذا كثر الزنا بعدي كثر موت الفجأة، واذا طفف المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص، واذا منعوا الزكاة منعت الارض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن، واذا جاروا في الحكم تعاونوا على الظلم والعدوان، واذا نقضوا العهود سلط الله عليهم عدوهم، واذا قطعوا الارحام جعلت الاموال في يد الاشرار، واذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الاخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم اشرارهم فيدعوا عند ذلك خيارهم فلا يستجاب لهم][٦٢].

هناك طائفة من الآيات القرآنية تحدثت عن حقيقة واقعة ترفع الشك والشبهة وتثبت رأفة الله ورحمته بعباده وهي ان الله سبحانه وتعالى لا يظلم الناس في الدنيا ولا في الاخرة وانما ان الناس هم يظلموا انفسهم قال تعالى ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ السجدة: ٤٦، وقال تعالى ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا

انفسهم يظلمون﴾ البقرة: ٥٧، وقال تعالى ﴿وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون﴾ آل عمران: ١١٧، وقال تعالى ﴿فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ التوبة: ٧٠، وقال تعالى ﴿فأُوليك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ الاعراف: ٩، وقال تعالى ﴿فارسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون﴾ الاعراف: ١٦٢.

و هكذا عشرات الآيات تكشف لنا ان الله سبحانه لا يظلم احداً، لانه كامل والظلم لا يصدر الا من الناقص، لانه قوي وغني وعليم والظلم لا يصدر الا من الضعيف الفقير الجاهل، ولانه عزيز وكريم ورؤوف ورحيم والظلم لا يصدر الا من الذليل واللئيم والبخيل والقاسي وهكذا ...

لذا فان العمل القائم صاحبه به يكون واصفاً له، فاذا كان صالحاً انتفع به، وان كان سيئاً اصبح وبالا ضاراً له وهذا هو ميزان العدالة والحق وما من عاقل يرفضه.[٦٣]

اكثر من هذا حتى من آمن ولكنه توقف عند ايمانه فقط، ولم يرتب عليه آثاره، وان لم يشرك، لكنه لم يعمل صالحاً، بل أفسد في الارض فهو يُعدُّ من الظالمين.

كيف نعالج الظلم

علماء الاجتماع يقولون: ان اية مشكلة يراد حلها لا بد ان تمر بعدّة مراحل قد تطول او تقصر ولكن لابد منها هي:

١ ـ الشعور بالمشكلة.

٢ ـ الوجود حقيقي للمشكلة.

٣ ـ وضع حلول للمشكله على المستوى النظري.

٤ ـ اختيار الحل الافضل او الأسهل أو اختيار اكثر من حل في آن واحد.

٥ ـ تنفيذ الحل عملياً.

٦ ـ في حالة كون هذا الحل لا يحل المشكلة ـ علينا الانتقال الى حل آخر وهكذا.

و مثال على ذلك: اذا شب حريق في الدار كيف لنا ان نطفئ هذا الحريق ؟

اولاً ـ نحن شعرنا بوجود الحريق وخطر الحريق علينا.

ثانياً ـ ان الحريق واقعاً قد حصل

ثالثاً ـ وبسرعة يخطر ببالنا عدة حلول منها

الصراخ او الصياح بطلب النجدة، الاتصال بدائرة الاطفاء، نقل الماء بسرعة وسكبه على مصدر الحريق، واذا لم يجد كل هذا فاننا نبادر الى حل آخر فوراً وهو نقل اثمن شيء من البيت ومغادرة البيت للسلامة على النفس لانها أغلى وائمن، ولا نكتفي بذلك بل احياناً ونحن نمارس الاطفاء نطلب النجدة او نخرج الاهم من الدار كالاطفال مثلا وهكذا نعود الى مشكلة الظلم وكيف نعالجها:

ان مشكلة الظلم الكل شاعر بوجودها ويتحدث عنها.

١ ـ فمن لا يشعر بالمشكلة لا يلتمس لها حلاً، وأخطر المشاكل هي التي لا يشعر أصحابها بها من قبيل الامراض الفتاكة التي ليست لها أعراض كالصرطان مثلا، فخطورته تكمن في عدم الاحساس به او الشعور بوجودة، واذا ظهرت له اعراض فانها ستظهر بعد فوات الاوان. اذن الشعور بمشكلة الظلم موجود والحمد لله.

٢ ـ ان مشكلة الظلم قائمة وحقيقية وليست وهماً أو خيالاً. فأعراضه في كل زمان ومكان والكل يئن منه ويشتكي بل ويستغيث وما من مغيث.

٣ ـ كيف نضع حلولاً لمشكلة الظلم بصورة عامة وانواعه كل على انفراد وبصورة خاصة.

الف ـ ان نقيم دراسة حقيقية لاسبابه التي جرى الحديث عنها ولو مختصراً بطائفيتها.

ب ـ ان نسعى جادين لايجاد حلول او علاج لهذه الاسباب الفتاكة من خلال مؤسسات او مراكز تهتم بهذا الامر فاذا عالجنا الاسباب فتكون المسببات قد انتهت.

جـ ـ ان نعمل على توعية الجميع، فان الامر يهم الجميع، والخير او الشر يعود على الجميع، وليس لطبقة دون أُخرى او فئة دون ثانية.

د ـ ان نقف بوجه كل الادوات والوسائل التي تؤدي الى وقوع الظلم ووجوده.

٤ ـ في حالة اختيار الحل الافضل او الاكثر من حل على الجميع السعي بهذا الاتجاه.

٥ ـ ان تنتقل الحلول الى التنفيذ دون تردد ولتكن الف تجربة جديدة نعرفها انها لم تصل الى الهدف ولكن التجربة الواحدة بعد الالف سيكون بيدها المفتاح لحل المشكلة.

٦ ـ لا يصيبنا اليأس والقنوط فان المسير لالف ميل يبدأ بخطوة، وليكن هذا البحث خطوة على الطريق.

١

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ـ دار الهدى الوطنية ـ بيروت ـ لبنان.

٣ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ الاجزاء (٣، ٧، ٨، ١٠، ١٢، ١٤) مؤسسه التاريخ العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٤ ـ امام عبدالفتاح امام ـ الطاغية ـ عالم المعرفة ـ الصفاة ـ الكويت.

٥ ـ انصاريان ـ علي ـ الصحيفة السجادية الكاملة. منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية ـ دمشق.

٦ ـ ترجمة الياس كلانتري وعباس ترجمان ـ دليل الميزان في تفسير القرآن ـ مؤسسة اسماعليان طهران ـ ايران.

٧ ـ الحرّاني ـ ابن شعبة ـ تحف العقول عن آل الرسول ـ مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ـ لبنان.

٨ ـ الخميني ـ روح الله الموسوي ـ الاربعون حديثاً ـ مؤسسه دار الكتاب الاسلامي ـ قم ـ ايران.

٩ ـ الرازي ـ الفخر ـ التفسير الكبير ـ الاجزاء (٣، ١٧، ١٩، ٢٣، ٢٥، ٢٧) دار احياء التراث العربي ـ بيروت، لبنان.

١٠ ـ الزمخشري ـ محمد بن عمر ـ الكشاف ـ جـ ٤ دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

١١ ـ الشيرازي ـ محمد بن ابراهيم صدر الدين ـ جـ ١ دار النبأ ـ الكويت.

١٢ ـ الصالح ـ دكتور صبحي ـ نهج البلاغة ـ منشورات دار الهجرة ـ بيروت ـ لبنان.

١٣ ـ الطباطبائي ـ محمد حسين ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الاجزاء (٧، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٦، ١٧) مؤسسة اسماعيليان طهران ـ ايران.

١٤ ـ الطبرسي ـ الفضل ابوعلي ـ مجمع البيان في تفسير القرآن الاجزاء (١، ٢، ٤) دار المعرفة بيروت ـ منشورات مؤسسة اسماعيليان ـ طهران ـ ايران.

١٥ ـ الطبرسي ـ الفضل ابو علي ـ منشورات مؤسسة اسماعيليان طهران ـ ايران.

١٦ ـ عبدالباقي ـ محمد فؤاد المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ منشورات مؤسسه اسماعيليان ـ طهران ـ ايران.

١٧ ـ العسكري ـ ابي هلال ـ معجم الفروق اللغوية ـ جامعة مدرسين قم ـ ايران.

١٨ ـ فضل الله ـ محمد حسين الندوة العدد (٢) دار الملاك ـ بيروت ـ لبنان.

١٩ ـ قطب ـ سيد ـ تفسير في ظلال القرآن ـ دارالشروق ـ القاهرة ـ مصر.

٢٠ ـ القمي ـ شيخ عباس ـ مفاتيح الجنان ـ دارالثقلين ـ قم ـ ايران.

٢١ ـ المدرسي ـ محمد تقى ـ تفسير من هدى القرآن ـ ج ١٢ ـ دار محبي الحسين ـ طهران ـ ايران.

٢٢ ـ معلوف ـ لويس ـ المنجد في اللغة ـ دار المشرق بيروت.

٢٣ ـ النراقى ـ محمد مهدى ـ جامع السعادات ـ ج ١ منشورات مؤسسة اسماعيليان ـ طهران ـ ايران.

الهوامش:

١ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ الجزء ٨ ص ٢٦٣-٢٦٥.
٢ ـ لويس معلوف ـ المنجد في اللغة ـ ص ٤٨١ دارالمشرق ـ بيروت.
٣ ـ الطبرسي ـ مجمع البيان ـ الجزء ١ ص ١٩٣.
٤ ـ الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن ج ٧ ص ٢٠٠-٢٠٥
٥ ـ الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن ج ١٣ ص ٣٦٢
٦ ـ الطبرسي ـ مجمع البيان ج ١ ص ١٩٥
٧ ـ الطبرسي ـ مجمع البيان ج ١ ص ٢٤٣
٨ ـ الطباطبائي ـ الميزان فى تفسير القرآن ج ١٦ ص ١٧٧
٩ ـ العسكري ـ ابوهلال ـ معجم الفروق ص ٤٥٤
١٠ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ج ١٢ ص ٢٤٦-٢٤٧
١١ ـ الفخر الرازي ـ التفسير الكبير م٨ ج ٢٣ ص ٢١٧
١٢ ـ الفخر الرازي ـ التفسير الكبير م٩ ج ٢٧ ص ٦٧٨
١٣ ـ العسكري ـ ابوهلال معجم الفروق ص ٤٥٤
١٤ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ج ١٢ ص ١١٨-١١٩
١٥ ـ الطبرسي ـ مجمع البيان ج ١ ص ١٢٤
١٦ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ج ٧ ص ٩٩-١٠٠
١٧ ـ العسكري ـ ابو هلال ـ الفروق. ص ٥٤٧
١٨ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ج ١٤ ص ٢٤٢-٢٤٤
١٩ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ج ٣ ص ١٦٦-١٦٧
٢٠ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ج ٣ ص ٢٥٤
٢١ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ج ١٠ ص ١٠٦
٢٢ ـ سيد قطب ـ في ظلال القرآن ـ ج ٣ ص ٢٩٢
٢٣ ـ العسكري ـ ابوهلال ـ ص ٤٤٤-٤٤٥
٢٤ ـ الامام الخميني ـ الاربعون حديثاً ص ٨٦
٢٥ ـ الامام الخميني ـ الاربعون حديثاً ص ٨٦
٢٦ ـ الفخر الرازي ـ التفسير الكبير م ١ ج ٣ ص ٥٤٦-٥٤٧
٢٧ ـ النراقي ـ محمد مهدى ـ جامع السعادات ج ١ ص ١٠٨
٢٨ ـ الطبرسي ـ مجمع البيان ج ٢ ص ٦٥٧
٢٩ ـ النراقى ـ جامع السعادات ـ ج ١ ص ٤٤٣
٣٠ ـ الطبرسى ـ مجمع البيان ـ ج ٤ ص ٦٦٢
٣١ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٠
٣٢ ـ الفخر الرازي ـ التفسير الكبير ـ م ٩ ج ٢٥ ص ١٣٢-١٣٣

٣٣ ـ امام عبدالفتاح ـ الطاغية ص ٨٩
٣٤ ـ الشيرازي ـ صدرالدين تفسير القرآن الكريم ج١ ص٢٤٢
٣٥ ـ الحرّاني ـ ابن شعبته ـ تحف العقول ـ ص٢٣
٣٦ ـ د. صبحي الصالح ـ نهج البلاغة الخطبة ١٧٦ ص٢٥٥
٣٧ ـ فضل الله ـ الندوة ـ العدد ٢ ص٩٧-١٠٢
٣٨ ـ الطبرسي ـ جوامع الجامع ص ٢٨٧
٣٩ ـ الطباطبايي ـ الميزان في تفسير القرآن ـ ج ٧ ص ٢٠٠
٤٠ ـ الفخر الرازي ـ التفسير الكبير ـ م٧ ج ١٩ ص ٩٤
٤١ ـ الطباطبائي ـ الميزان ج ١٦ ص ١٧٧
٤٢ ـ ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ـ م ٢ ج ١٠ ص٥١٥
٤٣ ـ القمي ـ مفاتيح الجنان ـ ملحقات الصحيفة السجادية ص ٧٤
٤٤ ـ انصاريان ـ الصحيفة السجادية ص ١٥٠
٤٥ ـ الطباطبائي ـ الميزان ـ ج ١٠ ص٢٩
٤٦ ـ الطباطبائي ـ الميزان ـ ج ١٠ ص١٨٩
٤٧ ـ الطباطبائي ـ الميزان ـ ج ١٠ ص ١٩٠
٤٨ ـ الطباطبائي ـ الميزان ـ ج ١٠ ص١٩١-١٩٢
٤٩ ـ الفخر الرازي ـ التفسير الكبير م٦ ـ ج١٧ ص٣٣٤
٥٠ ـ الطباطبائي ـ الميزان ـ ج ١٠ ص١٩٢
٥١ ـ الطباطبائي ـ الميزان ـ ج ١٠ ص ١٩٢
٥٢ ـ الطباطبائي ـ الميزان ـ ج ١٢ ص٣٥
٥٣ ـ الطباطبائي ـ الميزان ج ١٠ ص١١٤
٥٤ ـ الطباطبائي ـ الميزان ج١١ ص٥١
٥٥ ـ الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف م١ ج٢ ص٣٢٠
٥٦ ـ الطباطبايي ـ الميزان ـ ج١١ ص٥٥
٥٧ ـ الطباطبائي ـ الميزان ج ١٢ ص ٨٠-٨٥
٥٨ ـ الطباطبائي ـ الميزان ج١٧ ص٢٦٥-٢٧٤
٥٩ ـ المدرسي ـ من هدى القرآن ج١٢ ص ٣٩٠-٣٩١
٦٠ ـ الزمخشري ـ الكشاف ج ٤ ص١٧٦
٦١ ـ الطباطبائي ـ الميزان ج١٧ ص٤٠١
٦٢ ـ الحرّاني ـ تحف العقول ـ ص٤٢
٦٣ ـ الطباطبائي ـ الميزان ج ١٣ ص٣٦٢